مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية
Available online at https://www. asjp. cerist. dz/en/PresentationRevue/65

ر ت م د: 1112-685x
ر ت م د إ: 2588-2236

المجلد: 16 / العدد: 01 / جـوان 2023
ص ص: 490 ـ 503

سؤال الهوية اليهودية في الحضارة الغربية من منظور سعد البازعي مقاربة في نقد النقد

Question of Jewish identity in Western civilization from the perspective of Saad al-Bazai

نسيمة بن سودة *
جامعة الشهيد الشيخ العربي التبسي
تبسة / الجزائر
مخبر الدراسات الانسانية والأدبية
Nassima.bensouda@univ-tebessa.dz

محمد عروس
جامعة الشهيد الشيخ العربي التبسي
تبسة / الجزائر
Arousmohammed@univ-tebessa.dz

تاريخ الارسال: 2022/07/12 تاريخ القبول: 2023/03/20 تاريخ النشر: 2023/06/08

الملخص:

تهدف الدراسة إلى تسليط الضوء على مسألة الهوية في المكوّن اليهودي في الحضارة الغربية من منظور "سعد البازعي"، الذي أَوْلى هذه القضية عناية خاصة في كتابه "المكون اليهودي في الحضارة الغربية". وقد اتخذنا من "نقد النقد" منظورا للدراسة، بغرض الوصف والتفسير والتأويل.

وخلص هذ البحث إلى أن إدراك "البازعي" للماهية اليهودية في الحضارة الغربية، يكمن في الأصول الجينية اليهودية للمفكرين اليهود في أوروبا، وكذا اعتماد هؤلاء لاستراتيجية التفكيك من خلال التقويض باعتباره مقولة من مقولاته، وذلك باستبعادهم للدين كهوية عن المشهد الفكري والمعرفي الغربي .

الكلمات المفتاحية: الهوية اليهودية؛ المسألة اليهودية؛ التشتت؛ التجانس؛ التقويض.

Abstract:

The study aims to highlight the issue of identity in the Jewish component of Western civilization from the perspective of Saad al-Bazai, who paid special attention to this issue in his book The Jewish Component of Western Civilization. From the perspective of "criticism of criticism", we have taken a strategy for study, with a view to description, interpretation and interpretation.

This research concluded that the "Bazai" in his awareness of The Jewish what is in Western civilization lies in the Jewish genetic origins of Jewish

* المؤلف المرسل.

thinkers in Europe, as well as their adoption of the strategy of dismantling the undermining of religion, for freedom of knowledge by scientific and objective rules.
Key words: Jewish Identity; Jewish Issue; Fragmentation; Homogeneity; Undermining.

مقدمة

إن الوعي بالذات يطرح مسألة الهوية، بأبعادها الاجتماعية والسياسية والثقافية، وبالتالي فإن الهوية باعتبارها مجموع التفاعلات بين الانسان والوجود، تعدُّ تعبيرًا عن الانتماء الفردي إلى منظومة مجتمعية تتيح التعرف عليه ضمن نطاقات: الدين، اللغة، العرق، الثقافة وغير ذلك. وباعتبار أنّ الهوية هي موضوع فلسفي قبل أن يكون اجتماعي، فقد عالجه المثاليون في إطار ميتافيزيقي، وعالجه الوجوديون في إطار علاقة الذات بالموجودات؛ إذ أنّ (الهوية/الأنا) ليست منظومة مستقلة بذاتها بل تتشكل وفق علاقتها مع "الآخر"، ومن هنا يمكن للإنسان أن يطرح في شأنها أسئلة وجودية تلغي سلطة الذات التي تعتمد على الماهية المطلقة كأساس للمعرفة "الهُوَويّة"، بعيدا عن إلغاء الغيرية، حتى تتحدد "الأنا" كهوية اجتماعية تكاملها الإنساني يكمن في وضعها الطبيعي مع "الآخر" وبالتالي **فإن** "الهوية" هي نتاج للتشابكات العلائقية التي أدخلت الفكر الإنساني في تساؤلات عن ثنائية "الأنا والآخر"، و"الذات والأنا،" في تشكيل الكيانات الانسانية ومن ذلك الكيان اليهودي.

يُعدّ التمايز الحضاري التمايز الحضاري بين الأمم سمة كونية لها تداعياتها على شتّى المستويات السياسية والاجتماعية والثقافية، مما يولّد الصراع حينا والتحاور أحيانا. وتبرز مسألة الهوية من أهم مشكلات الوعي الفردي والجماعي الذي يصنع هذا التمايز ويحدد علاقة" الأنا" بـ " الآخر".

وبالنظر إلى الوجودين العربي واليهودي كهويتنين ثقافيتين مختلفتين، فإنّ منطق الصراع على الوجود ولّد محاولة معرفة هذا الآخر المختلف، وذلك ما حاوله "سعد البازعي" وهو يقرأ "الآخر" اليهودي، إذْ يعدّ أحد المشتغلين بتتبّع الثقافة الغربية، حيث يحاورها انطلاقا من رؤية عربية لها خصوصياتها الإبستيمية، انطلاقا من انفتاح معرفي يُسائل "الآخر" وفق جدلية "الأنا/ الآخر"، والتي تناسلت منها الإشكالية التالية: كيف ساءل "البازعي" اليهوية اليهودية في الحضارة الغربية؟ وهل تأسس الفكر الأوروبي وفق هوية هذا المكوّن؟

ولمقاربة هذه الإشكالات، ستكون الدراسة من منظور "نقد النقد" وفق آليات الوصف والتفسير والتأويل للكشف عن البِنيات المعرفية الموجودة خلف الخِطابات الغربية.

وتكمن أهمية هذه الدراسة في تحديد هوية الفكر الغربي، وعليه نتعرّف على القضايا المتعلّقة بحضور المكوّن اليهودي في الحضارة الغربية، وتشكيله لنسقها المعاصر وذلك من منظور "سعد البازعي"، الذي سعى من خلال كتابه "المكوّن اليهودي في الحضارة الغربية" إلى اقتفاء خطوات: "جمال حميدان" في كتابه: "اليهودية أنثروبولوجيًا"، و"عبد الوهاب المسيري" في عديد دراساته ومنها: "اليد الخفيّة".

1. الهويـة وجدليـة الذات والمجتمـع

الهوية هي الصورة الذاتية لتشكل "الأنا" في تراكماتها النفسية والسيكولوجية «فهي تغني صورة الذّات، التصور الذي يعمله الانسان حول خصائصه ونقاط قوته وضعفه ومنشأه وعلاقاته الاجتماعية وقِيَمِهِ وأهدافه الحياتية»1، وهنا تكمن قوة الادراك الذاتي الكامنة للانسان في علاقاته بنفسه وخصائصها، وعلاقاته مع الواقع المادّي ومَنْ حَوْلُه من البشر، فالظاهرة الانسانية تتحدّد وفق اشتراطات "الأنا" خلال ما يُسقطه الواقع المحموم بالمنظومات الأخلاقية والاجتماعية والثقافية والسياسية، التي تجعل الانسان يمارس المعرفة الإدراكية لـ (الذات/الأنا) من خلال استكشافاته لها المتعلقة بالتنويعات التي يحملها، العقلية منها والحسية.

لقد طرأ على الهوية تقلبات جذرية وفق اللحظة الأنطولوجية، تحملها الذات في الزمان والمكان وبالتالي يتوجب علينا من أجل أن ندرك هوية ما «فردية كانت أم جماعية أو ثقافية أن نعرف نواة هذه الهوية (Noyau Identitaire)وهذا يعني ينبوع التماسك الداخلي الغائي الذي يسِمُ كل كائن اجتماعي يتميز بوجوده الخاص،» [2] يمكننا أن نقول أن الحاجة التي تُحقّق هوية فردية أم جماعية، تكمن في المبدأ الأساسي لتشكيلها الحضاري والثقافي والاجتماعي، وأن اكتشافها يتطلب البحث عن مبرّرات الوجود الهوياتي، ورصدها في علاقاتها مع العناصر الطبيعية الأخرى ،لذلك « تحدد الهوية الجماعية في إطار تنظيم متكامل، وتمثل وحدة كلية تشمل كل عناصر متقاربة ومتكاملة لتشكّل عبر ذلك كله حقيقة اجتماعية تنطوي على البيئة الحيوية/.../ التاريخ، الديمغرافيا،»[3] وبالتالي فهي تعلن عن

حركيتها ضمن إطارها السوسيولوجي الذي تنمو داخله كحقيقة تنسحب عنها الظاهرة الإنسانية، وتتحكم فيها القوانين الاجتماعية التي تحتاج إليها في إدراكها للذات الإنسانية.

و قد تأسست الهوية على تغيرات موضوعية وجب رصدها في إطار علاقتها مع الجوهر، فلا توجد هوية خارج إطار هذا الكل الذي يفترض مواجهة الواقع المادي، بتحرير الأصل من التراكمات الموضوعية التي تحدّد كل المتغيرات «فالهوية هي التكرار والمعاودة والأصل الذي لا يغادر أصليته، إنها خطاب البداية وخطاب كل بداية /.../ إنها الأصل الذي لا ينفك عن الابتداء والحضور، ذلك أن مكوثها في مستوى البدايات الصلبة، إنما يوقعها في عِداد النسيان. لذلك فشرط حضورها هو إفصاحها في كل مرة أي في كل ولادة جديدة عن ذاتها»[4]، فالظواهر المستجدة على الهوية، لا يمكن الإقرار بها على أنها عموميات يمكن أن نستند عليها في تحديدنا الواعي للماهية، لذلك فإن حقيقة الهوية تُحتّم علينا تجاوز كل العناصر المستجدة وعلاقاتها السيكولوجية والثقافية والسوسيولوجية، والتّخلي عنها يكون في سبيل الإمساك بالنواة الأولى لقوانين الذات وحقيقة بداياتها. وانطلاقا من حتمية رصد جوهر الماهية، يتحرّك البازعي في حفره داخل الفكر الغربيّ، باحثا عن حقيقة ماهيته.

2. البازعي: وسؤال الهوية اليهودية

اقتحم "البازعي" سؤال الهوية عبر المعرفة المابعد حداثية، إذ بحث في "الكينونة/ذاتها" عبر المثال اليهودي وإنتاجاته الفكرية التي مارست إسقاطاتها الهُووية في الفكر الغربي، عبر إدراك لا متناه لـ:(الأنا/الذات) و(الأنا الآخر) . ذلك أن مصطلح "الهوية" يكشف عن ثنائية "الآنا" و"الآخر"، حيث أن «الهوية تطرح نفسها بحكم التغير والتحول وهذا يعني إشكالية البحث عن الهوية ليس إلا أطروحة للتحول الحضاري من أجل تأكيد الذات كونها مفتاح الدخول إلى عوالم الفرد وتحديد انتمائه»[5] ،هذه العوالم المحمّلة بالأسئلة والقلق المعرفي والاجتماعي والثقافي، دائما ما يعتري "الذات/ الأنا" توجسًا منها.

ويعتبر "البازعي" من النقاد العرب المعاصرين، الذين أَوْلوا جهودهم إلى دراسة "المسألة اليهودية" كهوية في الحضارة الغربية، وذلك من خلال منجزه النقدي "المكوّن اليهودي في الحضارة الغربية"، هذه "الهوية" التي ساهمت في الإنتاج المعرفي الغربي. تُرى هل تعبّر دراسته عن الانخراط الهوياتي اليهودي في الفكر الأوربي ككتلة صلبة لها خصوصيتها الإثنية والثقافية؟ أم أن حضور اليهود هو كونهم مفكرين يمكنهم اجتراح وسائل معرفية،

بعيدا عن انتمائهم الطائفي الذي له ما يميزه، فقط إيمانا منهم للوصول إلى حقائق علمية تُحدِثُ نقلة في الحَراك المعرفي الانساني؟

تعدّ مكامن التداعي والتميز داخل "الأنا" وفكرة العودة إلى الذات في كل مرة، هي السمة الأساسية التي أمْلتها التجربة الانسانية، إذ أنها كانت فاتحة السؤال أمام لحظة تأزّم معرفية، تجعلها تبحث عن الإجابات بإصغائها إلى الموروث الفكري والإثني، حيث أن « الإنسان متحيّز بطبعه سواء إلى ذاته أو إلى ذوات أكبر منه، ذوات تمتد من عائلته إلى فئته الاجتماعية إلى ثقافته ككل، في تدرج متفاوت الأهمية والقيمة »[6]، ذلك أن الانخراط الكلي في البيئة السوسيولوجية "للذات" لا يُمكّنها من تجاوز الأنساق الأنثروبولوجية والبنيات الثقافية، لأن إطار الخصوصية يبقى الحقيقة التي يتحرك داخلها الإنسان.

إن الناظر في المنجز النقدي "المكون اليهودي في الحضارة الغربية" لـ"سعد البازعي"، يقف على عديد النماذج اليهودية التي تشكلت وفقها الحضارة الغربية، وهيمنت بشكل لافت على المشهد الفكري، والثقافي والمعرفي في القارة العجوز، وهي رؤية يرى "البازعي" أنه لا يمكن تجاوزها، إذ أن الحفر في طبقات الفكر الغربي، يكشف لنا المتواريات الإثنية والثقافية اليهودية للتراث الفلسفي للمركزية الغربية، حيث أنه يَعتبِر أن «دراسة حضور اليهود أم العرب في سياق حضاري آخر لا يؤدي إلى فهمهم فحسب، وإنما أيضا فهم التشكيل الحضاري الذي نشطوا أو عملوا فيه»[7] ومن أجل هذا الفهم قام "البازعي" في دراسته باستنطاق البنيات الفكرية الغربية، من أجل الكشف على الحضور اليهودي فيها، إنْ جماعات تنتمي إلى ذات الفئة وتحمل ذات الخصائص الأنثروبولوجية، أو فُرادى لا تربطهم بطائفتهم إلا أصولهم الإثنية، وما إنجازاتهم المعرفية إلا جزء من سياق حضاري انتموا إليه، من أجل ذلك فقد تم اختيار ثلاثة نماذج من مجموع ما ذكره "البازعي" في بحثه، للكشف عن التربة الإثنية لهؤلاء، وبالتالي: هل قام "البازعي" باستنطاق البيئة الثقافية لتلك النماذج من خلال مساءلته لمنجزاتهم الفكرية؟

من أجل ذلك تم اختيار كل من "إسبينوزا، كارل بوبر، كارل ماركس"،كنماج في هذه الدّراسة، بما يمثلونه من مكوّن مركزي في تركيبة الثقافة الغربية.

أ. إسبينوزا بين السياسة، واللاهوت، والأخلاق

إن "اسبينوزا" هو أحد أهم الفلاسفة في أوروبا، الذين لهم نشاطا معرفيا ونصوصا فلسفية تحقق للإنسانية فهما متجدّدا للوجود، لذلك فإن فرضية "البازعي" فيما يمكن القول بأن "اسبينوزا" يفكّر "يهوديا"، كانت من خلال ما تنطوي عليه بعض الدراسات من بنيات أساسية تقوم بالكشف على القيم اليهودية المعبرة عن "الهوية".

وبما أن عناصر المراوغة تتفرع إلى عديد المجالات فإن "البازعي" يرى بأن «المراوغة اللغوية مثلا هي نتيجة الرغبة في التعبير عن آراء نابعة من هرطقة دينية وخروج عن الموروث مع الاحتفاظ بمسافة تقي خطر المُساءلة، فقد تبين "لسبينوزا" سريعا أن من الصعب مواجهة الجمهور بآرائه صراحة»[8]، فثنائية (المراوغة/الهرطقة)* هي مخزون فكري ومعرفي يجعل من المفكر اليهودي يعمل على تكييف آرائه وفق آليات الحضارة الغربية التي تُعتبر الحاضنة الأساسية لـ"اسينوزا"، الذي اكتسب فِكْرهُ فاعلية من خلال مميزاتها، معتبرا أن الإنتاج المعرفي هو حركة كونية بمبررات إنسانية، لا تأخذ بعين الاعتبار الإيديولوجيا والعرق.

وبالحديث عن كتاب :" الإثيكا علم الأخلاق" فإن "البازعي" يميز بأن : « في المصطلح السبينوزي ليست الطبيعة سوى الكون بأكمله شاملا إلا أنه الذي تصوره الأديان السماوية خالقا منفصلا في الكون أو عن مخلوقاته، الانفصال الذي يرفضه " اسبينوزا"، حيث يتحدث عن الإله أو الطبيعة»9، فإمكانية الفصل بين الطبيعة والإله كما في الكتب السماوية، هو أمر لا يمكن للتصورات السبينوزية إلا أنها تجعل منه منطقة يمتنع فيها إنتاج التفكير العلمي؛ هذا ما يفتح المجال أمام مصطلح " الحلول"، لذا : «لابد من الشروع بالبحث في الله وأن نجعل منه مبدأ نشوء المعرفة الإنسانية وتكونها، إن المعرفة صيغة الله الحقيقية هي ما يسمح بانصهار عقل الإنسان المحدود في عقل الله لا محدود وبإدراك أن قوة الفكر فينا ليست غير قوة الفكر الإلهي»[10]. فالإبداع المعرفي يبدأ من التوحّد الميثوسي مع الإله، إذ أن قوة المعالجة العقلية بشتى فروعها ومراحلها تتشكل من منظومة فكرية وإدراكية، ضمن تشكيل لا محدود في تجانس " طبيعة /اله"، لأن الرؤية البازعية تكمن في أن «الأهمية الكبرى التي يحتلها العقل في النظام الفلسفي لدى " اسبينوز" تعود إلى قناعته الأساسية بأن العقل، ومن ثَمَّ الإنسان نفسه، جزء من الماهيّة الأساسية للكون وهي الإله أو الطبيعة. ومعنى هذا أن الله حالّ في العقل مثلما هو حالّ في الطبيعة ككل الأمر الذي يجعل عمل العقل مشاركة في عمل الإله»[11]، من هنا ينبغي أن ندرك بأن "الحلول" هو

منظومة إبستيمية عقلية غير مشروطة بإمكانية فصل الإله عن الطبيعة، بل هي أساس الأُطر التصورية للمعرفة في قيمتها الحلولية، وبالتالي يتجسد إنتاج عمل علمي يفسر الكون أو الظاهرة الطبيعية بصيغة "الإله / الطبيعة"، وبالتالي يتناهى " البازعي" إلى أن " السبينوزية" هي مدرسة عقلية بالأساس مطابقة للفكر الحداثي الديكارتي، ولكن بانتماء يهودي.

ويستمر "البازعي" في بحثه عن الأصول اليهودية في فلسفة "اسبينوزا" من خلال مساءلة نقدية بالحفر في أفكار "إسبينوزا" التي حملها كتاب هذا الأخير " رسالة في اللاهوت والسياسة "، حيث تحدث فيه عن القانون الإلهي، ونظم الدولة، والعلاقة بين الدين والسياسة، ومسألة الحرية الدينية والفكرية، وقد خلص إلى «إلغاء القداسة وتهميش دور الدين بالتشكيك في مصداقية الكتب المقدسة، وهي التوراة والإنجيل في المقام الأول، لكن "اسبينوزا " يشير أيضا إلى عقائد المسلمين وغيرهم كما عرفها آنذاك، مهاجما الجميع مقوّضًا* أسس التدين بشكل عام وجذري».12 ولذلك فإن نظرة" اسبينوزا" للمضامين والموضوعات الفكرية، تكون انطلاقا من رفضه لكل أشكال التدين المرتبطة بالكتب السماوية، إذ أن المعرفة التي تستند إلى الأطر الدينية، هي ممارسات تساهم في تكلّس العقل البشري، الأمر الذي لا يتوافق مع الفاعلية الفكرية التي تتغيّر وفق الأنظمة المعرفية القابلة للتحاور والتفاعل.

و تكمن قوة الإدراك المعرفي في كون «المراوغة اللغوية والجدلية لا تلبث أن تتضح حتى يعود "اسبينوزا" ليؤكد تواضع المعرفة التي يجلبها الأنبياء لاعتمادهم على الخيال الحي لا بفكر أكمل، ومن هنا كانوا دائما بحاجة إلى آيات تؤكد لهم أنفسهم صدق ما أعطاهم الله، في حين أن المعرفة الطبيعية متفوقة لأنها لا تحتاج إلى آية ما»[13]،وبالتالي فإن " البازعي" يؤكد على "المراوغة اللغوية" كخاصية في الكتابات الفلسفية السبينوزية، التي يستند عليها في إظهار السبق المعرفي للعقل وتأليهه في مقابل انخراط المعرفة النبوية في "الخيال"، متجاوزة الزخم الفكري القائم على تغيير العالم بالمعايير المعرفية المبنية على " البرهان"، الذي يعيد صياغة العقل بمساءلة الموجودات وفق مناهج تركيبية تتيح للمفكر تفكيك الأنساق والخطابات.

لم يكتفِ "اسبينوزا" بنقد "النبوة/ الدين" فحسب والذي استخدم فيه العقل الرياضي الهندسي، بل تعدّاه إلى السياسة إذ يرى بأن «العبد هو من يضطر إلى الخضوع

للأوامر التي تحقق مصلحة سيده، والابن هو من ينفّذ بناءً على أوامر والديه، أفعالا تحقق مصلحته الخاصة، وأما المواطن فهو من ينفذ بناءً على أوامر الحاكم، أفعالا تحقق المصلحة العامة وبالتالي مصلحته الشخصية»[14]، فتحقيق المصلحة مرتبط بالعلاقة الموجودة في الأنظمة الاجتماعية والسياسية، بين السلطة العليا والطبقات الدنيا سواء كانت هذه السلطة تتمثل في "الدين، الأبوة، الحاكم"، وفق مجموعة من الشروط التي تعتمد على تفاصيل الوجود الإنساني، وما يحمله من مستويات تنصت بعقلانية إلى الواقع، تحقيقا للمصلحة العامة والخاصة.

وباعتماده على العقل التنويري للإنوجاد ضمن الدائرة الكونية للإبستيمولوجيا، يظلّ التحدي السبينوزي يواجه القضايا الدينية التي ما فتئ اليهود مسجونون داخلها، باعتبارها المجال الأكثر تأثيرا فيهم، الأمر الذي جعلهم يواجهون تعقيدات التأقلم والتجانس مع الأمم الأخرى . وفي سبيل تطرفه التنويري، كان تقويضه للميتافيزيقيا الدينية هو أهم سمة في فكر"اسبينوزا"، فليس أمام المفكر من سبيل سوى رفضه المطلق والكلي للّاهوت كقيمة في التفكير العقلاني فـ: «اللاهوت ليس خادما للعقل، وأن العقل ليس خادما للّاهوت، بل إن لكل منهما مملكته الخاصة، للعقل مملكة الحكمة والحقيقة وللّاهوت مملكة الخضوع والتقوى»[15] وهو ما يمثّل التحيّز المعرفي للعقل على حساب الميتافيزيقا الديني التي يقوضها فكر اسبينوزا.

إن اختيار "البازعي" لـ "اسبينوزا" كنموذج فكري في الحضارة الغربية له هويته اليهودية في تعامله مع المعرفة، يكشف عن قصور في مساءلة الفكر السبينوزي . وبالتالي فالمضمر اليهودي لهوية "اسبينوزا" الفكرية لا يعدّ إلا تحويرا ينبثق عن رؤية ـ تسلم بالأصول الجينية للمفكر، وهذا بعيد عن توجهه الفكري العقلاني في معالجة القضايا الفلسفية، وهو يعد من عيوب القراءة البازعية في تأصيله للهوية اليهودية في الحضارة الغربية.

ب. كارل ماركس والمسألة اليهودية:

وفي تتبعه مسار الفكر اليهودي في الحضارة الغربية، فإن "البازعي" يحفر في خلفيات الفلسفة الماركسية، ليكشف عن مرجعياتها إذ أنه يحدد هذه المرجعية بتوجهه إلى مقولات "تشاينر" الذي يرى بأن «ماركس كان مسكونا بهاجس الإصلاح الرُّسُولي أو المشياني Messianic أي بكونه مسؤولا عن إصلاح البشرية جمعاء، وهذه في تقدير تشاينر سمة

لليهود الذين أنتجوا رُسُلًا كثيرين يهدفون إلى إصلاح العالم، منهم الأنبياء والرسل المعروفون من مثل عيسى (عليه السلام) ومنهم العلماء والمفكرون ودعاة الإصلاح وما إلى ذلك»[16]، وإسقاط الإصلاح الرسولي على اليهود دون غيرهم من الأجناس، هو وقوع في فخ التحيزات الثقافية التي تنكر عن غير اليهود إنتاجهم للرّسل، الأمر الذي لا يتحصل على مصداقية في محاولة إقرار "تشانير" بأن "ماركس" ذو انتماء يهودي في فكره الفلسفي.

أما « فيما يتصل بالدفاع عن التمسّك اليهودي بالدين لا شك أن ثمة مبّررا نظريا ماركسيا يتضح من مقالة "ماركس" وتلتقي عنده مختلف الأديان فالدين اليهودي مثل الدين المسيحي نموذج للتعلق الإنساني بالدين وهذا من الزاوية الماركسية يمثل مرحلة عابرة في التطور الثقافي الاجتماعي»[17]، وهو بذلك يكون قد وقع في شرك التناقض مع المبادئ الماركسية التي تقوّض الدين، والحديث عن إصلاح البشرية هو حديث أبعد ما يكون عن تعاليم الدين سواء كان المسيحي أم اليهودي، الأمر الذي يجعل "البازعي" أمام وضع فكري خارج عن السياق الفلسفي الماركسي «فالمسألة اليهودية تكتسب مفهوما متغيرا حسب الدولة التي يوجد فيها اليهودي، ففي ألمانيا حيث لا توجد دولة سياسية أي لا توجد الدولة كدولة، فإن المسألة اليهودية هي مسألة لاهوتية محضة، يجد اليهودي نفسه في تناقض ديني مع الدولة التي تقر بأن المسيحية تشكل أساسها هذه الدولة هي دولة لا هوتية»[18]، وبهذا الموقف "لماركس" من المسألة اليهودية يتحرك مفهومها وفق مسوّغات الدولة التي ينتمي إليها اليهودي، وبالتالي فالسياق الحضاري، والثقافي، والسياسي.

ولعل "ماركس" يرى في سياق آخر أن «خطأ "باور" أنه لم يتناول بالبحث العلاقة بين التحرر السياسي والتحرر الإنساني وأنه يضع شروطا لا يمكن تفسيرها إلا بخلط غير نقدي بين التحرر السياسي والتحرر الإنساني»،[19] وهنا يسعى "ماركس" إلى نقد "باور" الذي يرفض الانتماء الديني لليهودي في مقابل التحرر السياسي في سؤاله التالي: «هل لديكم الحق وأنتم في موقفكم أن تطلبوا التحرر السياسي؟».[20] وباعتبار المرجعية الإثنية "لماركس"، كانت استراتيجيته في فضح المسائل العنصرية "لباور" التي تنطوي عليها خطاباته تجاه اليهود، وهنا بدأ الانخراط الهوياتي "لماركس"، وإصلاحه الكوني للبشرية يرفض القوالب الجاهزة للفكر مثلما ذكره في مثاله عن "باور".

أما بالنسبة "للبازعي" فهو يأخذ هذا المنحى، ويعتبر "ماركس" من المفكرين اليهود الذين يقوّضون الميتافيزيقيا الدينية من أجل الانخراط في الخريطة الفكرية في العالم

المعرفي، والتحرر من القيود الكلاسيكية التي تمنع الإنعاش الفكري والفلسفي الإنساني، إذْ «يمكن اعتبار "ماركس" واحدا من سلسلة طويلة من المفكّرين اليهود الذين أسمتهم الباحثة الأمريكية "سوزان هاندلمان" بـ "قتلة موسى" في كتابها الذي يحمل هذه العبارة عنوانا، والذي قامت فيه بتحليل مكثّف ومعمّق لبعض أبرز المفكّرين والنّقّاد الغربيين في العصر الحديث الذين يحمل بعضهم انتماءً يهوديّاً من مثل :فرويد، ديريدا، هارولد بلوم وغيرهم»[21]..الأمر الذي يعضّد فكرة الهوية اليهودية لـ"ماركس" وانتماء فكره الإثني لها، لدى "البازعي".

ج. كارل بوبر واستراتيجيات يهودية:

يستمر "البازعي" في الحفر في الحضارة الغربية من خلال عنصري الهوية والعقيدة، للكشف عن استراتيجيات وتقنيات الفكر وفعاليتها في مجالات العلم والفلسفة؛ إذ أن "البازعي" «يَلْمح جانبا من تأثير الخلفية اليهودية التي تتمثل بالصراع مع السلطوية الفاشية التي أدت إلى تشريد "بوبر" وأمثاله أو الزج بهم في المعتقلات»22. وقد اكتسب "بوبر" الفاعلية الهوياتية لليهودية انطلاقا من الصراع بين النازية واليهود، والذي كانت نتيجته ما يعرف بـ: "معاداة السامية"، الأمر الذي أدّى إلى تبرير الإمبريالية الصهيونية ومستجداتها.

"فكارل بوبر" يسعى إلى تقويض اللّاهوت، لبناء علاقات فكرية تتجاوز الهوية الدينية، في إطار إعادة إنتاج معرفي يحقق ممارسة حداثية للفكر فـ «كما هو معهود دائما تأتي رؤاه وإسهاماته رصينة متوازنة واقعية علمية بقدر ما هي إنسانية باحثة عن عامل أفضل، أكثر تنويرا وأكثر حرية»[23]، "فكارل بوبر" يهتم بالأعمال الفكرية، ويتجاوز النماذج الجاهزة من أجل بلورة منهج علمي وفق القيم الاشتراكية والتنوير حيث «إن أي كائن اجتماعي من حيث ماهيته يمكن أن يوجد في أي مكان آخر وفي أية صورة أخرى، كما يمكن أن يتغير مع بقائه في الحقيقة منزها عن التغير، أو أن يتغير على نحو يخالف النحو الذي يتغير عليه بالفعل /.../ ومن المستحيل تعيين نوع التغيير الذي يمكن للكائن الاجتماعي احتماله مع بقائه هو هو»[24]، ومنه فالحفاظ على الهوية غير مرتبط بتغير المكان، كما أن التغير فيها يمكن أن يؤثّر على الإنسان، نظرا لما يحدثه هذا التغير من تراكمات سوسيوثقافية تجعل الوعي بالذات في حالة صيرورة واستمرارية وتفاعل مع الموجودات.

إن إقامة علاقة مع الوجود تتيح الانتقال الفردي من مجتمع إلى آخر، يتنافى مع التغير الهووي للذّات، لأن المُماهاة مع البيئة الحضارية للإنسان لا تجعله عرضة للنمذجة الاجتماعية، لذلك فإن "البازعي" يرى أن "كارل بوبر" « في "كتابه المجتمع المفتوح وأعداءه" نجد النقد الصارم الذي وجهه للأنظمة الشمولية "التوتاليتارية" داعيا إلى الديمقراطية والانفتاح الاجتماعي»[25]، وبالتالي فإن فكر "بوبر" يؤسّس لقيم الديمقراطية والحرية العقائدية، انطلاقا من نقده الصارم للدوغمائية الفكرية والاجتماعية، ومن هنا يبدو مشروع "بوبر" هو تقويض الميتافيزيقيا الدينية، ويتيح فيها للحرية الفكرية التي ترقى بالعقل، وتتكافأ فيها كل الأبعاد النقدية للموروث الفكري، الأمر الذي يفتح استثمارات عقلية جديدة في ساحات الفكر الغربي.

وبالعودة إلى الرؤية المركزية الناظمة لأطروحة "البازعي" في استدلالاته بانتماء الحضارة الغربية إلى المكوّن اليهودي، وأفكاره عن "إستراتيجية التفكيك" للإمساك بمفاصل بحثه، فهو ينتقي أفكار "بوبر" ليدلّل بها على فكرة "التقويض" كاستراتيجية يهودية في توجيه ضربات للمركزية الدينية، كما أنه استخدم مصطلح "المراوغة اللغوية" لدى كل من "اسبينوزا" و"كارل ماركس" كأسلوب في الفكر لإخفاء الأصول المارانية التي تظهر غير ما تخفيه، للتعمية على الأصول اليهودية لكليهما.

إنّ النماذج المذكورة في المنجز النقدي "المكوّن اليهودي في الحضارة الغربية"، هي في الواقع نماذج فكرية غربية خاضعة لنسقها الثقافي وسياقها الحضاري الذي أنتج أفكارها. فـ"رينان" يرى بأن «المغزى الأنثروبولوجي لكلمة يهودي على الأقل في شرق ووسط أوروبا قد انتهى منذ أمد طويل وفي نفس المعنى أكد "دالي" أنه ليست ثمة بَعْدُ أيّ شيء كقضية جنس يهودي على الإطلاق، وكما يقول "ربى" من بعد: ليس اليهود جنسا بل "مجرد ناس" بكل بساطة».[26] ولم يعد لليهود وجود كإثنية مستقلة عن باقي الكيانات في أوروبا، والحديث عن ذلك هو إنكار للسياق الحضاري الغربي الذي أنتج فكرا عالج العديد من القضايا العلمية والفلسفية.

وبذلك تكون محاولة "البازعي" ضمّ هذه النماذج الفكرية إلى الهوية اليهودية، ما هو إلا محاولة تنطوي على طمس الحقيقة التاريخية مثلما وقع في ذلك كل من: "بن جوريون" و"باسيرز" وغيرهما.

خاتمة

بعد البحث في الهوية اليهودية في الحضارة الغربية من منظور "سعد البازعي" تجعلنا نتوصل إلى النتائج التالية :

- ساءل "البازعي " الهوية اليهودية في الحضارة الغربية من خلال : أ- البحث في أعلام الفكر الغربي ومساهماتهم المعرفية فيه، والتي انبنت عليها هذه الحضارة ومن أبرزهم : "إسبينوزا"، "كارل بوبر"، "كارل ماركس" .ب- الحفر في الفكر الغربي بغرض الكشف عن قيم الهوية اليهودية في هذا الفكر ك " التقويض، التشتيت، المراوغة اللغوية والمارانية" والتي هي بالأساس مقولات يهودية ولكنها تسلّلت إلى الفكر الغربي بفعل الحضور اليهودي كهوية جديدة.
- حديثه عن "المكون اليهودي" انطلق من تأكيده أن الهوية اليهودية هي كلّ متجانس أنثروبولوجيًّا، ودينيا وثقافيا. والحقيقة أن الهوية اليهودية تعاني التشتت، وما "المكون اليهودي" إلا هوية جينية بعيدة عن السياقات الحضارية لفكر كل من "كارل ماركس"، و"كارل بوبر"، و"اسبينوزا".
- تعدّ مقولات المفكرين اليهود: "إسبينوزا"، كارل ماركس"، "كارل بوبر" لبنات أساسية في تشكيل المعرفة الغربية ذات الصبغة الهوياتية اليهودية .
- استعادة التصورات اليهودية في تشكل الدلالات التاريخية في انتماء المفكرين الثلاث إلى الهوية العبرانية، ما هو إلا اجترار لموقف "بن غوريون" وغيره، وتعبير عن مسعى فكري لإضفاء التبعية الفلسفية للحضارة الغربية إلى الماهية اليهودية.
- من خلال النماذج المختارة في الدراسة من كتاب "المكوّن اليهودي في الحضارة الغربية" لـ "سعد البازعي" وعدّ انتماءها الهوياتي "الإثني" لليهودية ورصد مؤشّرات هذا الانتماء: "التقويض، المراوغة اللغوية، المارانية "كخصوصية يهودية تميز الحضارة الغربية، هو عملية إسقاطية بعيدة عن المبرّرات المعرفية التي تحدّد هذا الانتماء.

ويبقى البحث في الهوية اليهودية موضوعا يتطلب البحث والدراسة لا من منظور " سعد لبازعي" فحسب بل من منظورات أخرى.

قائمة المصادر والمراجع

أولا/ المصـــادر

[1] سعد البازعي: المكون اليهودي في الحضارة الغربية، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 2007.

ثانيا/ المراجـــع

[1] اسبينوزا: رسالة في الأصوات والسياسة، تر: حسن حنفي، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2005م.

[2] أليكس ميكشالي: الهوية، تر: علي وطفة، دار النشر الفرنسية Presses universtaires de france، تنفيذ دار الوسيم للخدمات الطباعية، دمشق، ط1، 1993.

[3] باروخ اسبينوزا: علم الأخلاق، تر: جلال الدين سعيد، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، ط1، 2009، .

[4] البشير ربوح: السؤال عن الهوية، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2016.

[5] بيتر كوزين: البحث عن الهوية –الهوية ونشأتها في حياة إيريك إيريكسون وأعماله-، تر: سامر جميل رضوان، دار الكتاب الجامعي –العين- دولة الإمارات العربية المتحدة، 2010.

[6] جمال حمدان: اليهود أنثروبولوجيا، دار الهلال، مصر، 1996.

[7] سمير خليل: دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي، دار الكتب العلمية، بيروت.

[8] عبد السلام بن عبد العالي: أسس الفكر الفلسفي المعاصر- مجاوزة الميتفيزيقيا- دار طوبقال للنشر، ط2، 2000.

[9] فؤاد زكريا: اسينوزا، مؤسسة هنداوي، سي، آي، سي، المملكة المتحدة، 2018م.

[10] كارل بوبر: أسطورة الإطار، تر: يمنى طريف الخولي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2001.

[11] كارل بوير، قيم المذهب التاريخي، تر: عبد الحميد صره، دار المعارف، الأغسكندرية، 1959.

[12] كارل ماركس: حول المسالة اليهودية، تر: نائلة الصالحي، منشورات الجمل، ألمانيا، ط1، 2003م

الهوامش

[1]- بيتر كوزين: البحث عن الهوية –الهوية ونشأتها في حياة إيريك إيريكسون وأعماله-، تر:.سامر جميل رضوان، دار الكتاب الجامعي –العين- دولة الإمارات العربية المتحدة، 2010، ص:93.

[2]- أليكس ميكشيللي: الهوية، تر: علي وطفة، دار النشر الفرنسية Presses universtaires de france، تنفيذ دار الوسيم للخدمات الطباعية، دمشق، ط1، 1993، ص:12.

[3]- المرجع نفسه: ص23.

[4]- البشير ربوح: السؤال عن الهوية، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2016، ص28.

[5]- سمير خليل: دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ص 316.

[6]- سعد البازعي: المكون اليهودي في الحضارة الغربية، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 2007، ص 22.

[7]- سعد البازعي: المكون اليهودي في الحضارة الغربية، ص 23

[8]- فؤاد زكريا: اسينوزا، مؤسسة هنداوي، سي، آي، سي، المملكة المتحدة، 2018م، ص 251.

[9]- باروخ اسبينوزا: علم الأخلاق، تر: جلال الدين سعيد، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، ط1، 2009، ص 19.

[10]- سعد البازعي: المكون اليهودي في الحضارة الغربية، ص، 140.

[11]- المصدر نفسه: ص، 140.

[12]- سعد البازعي: المصدر نفسه: ص 143.

[13]- المصدر نفسه: ص، 143.

[14]- اسبينوزا: رسالة في الأصوات والسياسة، تر: حسن حنفي، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2005م ص: 375.

[15]- اسبينوزا: رسالة في اللاهوت والسياسة، ص 360.

[16]- سعد البازعي: المكون اليهودي في الحضارة في الحضارة الغربية، ص 105.

[17]- المصدر نفسه: ص 109.

[18]- كارل ماركس: حول المسالة اليهودية، تر: نائلة الصالحي، منشورات الجمل، ألمانيا، ط1، 2003م، ص 15.

[19]- - كارل ماركس: المرجع نفسه: ص 14.

[20]- المرجع نفسه: ص:14.

[21]- سعد البازعي : المكون اليهودي في الحضارة الغربية:ص114

[22]- سعد البازعي : المكون اليهودي في الحضارة الغربية: ص 121.

[23]- كارل بوبر: أسطورة الإطار، تر: يمنى طريف الخولي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2001، ص 05.

[24]- كارل بوبر، قيم المذهب التاريخي، تر: عبد الحميد صره، دار المعارف، الأغسكندرية، 1959، ص 43

[25]- سعد البازعي: المكون اليهودي في الحضارة الغربية، ص 121.

[26]- جمال حمدان :اليهود أنتروبولوجيا، دار الهلال، مصر 1996،ص :146

*المراوغة/الهرطقة :عبّر عنها "عبد الوهاب المسيري "في كتابه "الحداثة ومابعد الحداثة"بـ " يمكن أن نسميها (التفكيكية أو التقويضية اليهودية)للإشارة إلى علاقة المثقفين اليهود بالحضارة الغربية و محاولتهم المستمرة تحطيم النص المقدّس و تفكيكه و تقويضه لا تفسيره. ص(139)